خطبة الجمعة بعنوان : البحث العلمي ودوره في تقدم الأمم.

الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونتوبُ إليهِ ونستغفرُهُ ونؤمنُ بهِ ونتوكلُ عليهِ ونعوذُ بهِ مِن شرورِ أنفسِنَا وسيئاتِ أعمالِنَا، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأنَّ سيِّدَنَا مُحمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

أمَّا بعدُ:

أيها المؤمنون:

لقد اهتمَّ الإسلامُ بقيمةِ العلمِ أيَّما اهتمامٍ، ولقد بلغتْ عنايةُ اللهِ – عزَّ وجلَّ – بنَا لرفعِ الجهلِ عنَّا أنْ كانَ أولُ ما نزلَ مِن الوحيِ على نبيِّنَا أعظمَ كلمةٍ هبطَ بهَا جبريلُ هي قولُهُ تعالَى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}(العلق:1)، وأمرُ اللهِ عزّ وجلّ بالقراءةِ والعلمِ في أولِ آيةٍ نزلتْ مِن القرآنِ دليلٌ واضحٌ على أهميةِ العلمِ في تكوينِ عقلِ الإنسانِ وفي رفعهِ إلى المكانةِ الساميةِ، فلا يستويِ عندَ اللهِ الذي يعلمُ والذي لا يعلمُ، قالَ تعالَى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} ، ويرفعُ اللهُ الذي يطلبُ العلمَ والذي يعملُ بهِ على غيرِهِ درجاتٍ، قالَ تعالَى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ، أي يرفعُ الذينَ أوتُوا العلمَ مِن المؤمنينَ بفضلِ علمِهِم وسابقتِهِم درجاتٍ أي على مَن سواهُم في الجنةِ.

ولشرفِ العلمِ أباحَ اللهُ لنَا أكلَ الصيدِ الذي صادَهُ الكلبُ المُعَلَّمُ، وإذا صادَهُ كلبٌ غيرُ مُعلَّمٍ لا يُؤكلُ:{يَسْأَلونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} ، هذا في عالمِ الكلابِ، رفعَهُ اللهُ درجةً عن أقرانِهِ بالعلمِ، فمَا بالُكَ بمَن تعلَّمَ الكتابَ والسنةَ؟! لذلكَ قَالَ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ ". وقد لعنَ الرسولُ ﷺ الدنيَا بمَن فيهَا إلّا مَن انتسبَ لشرفِ العلمِ فقالَ:" الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالاَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا." " ، وكمَا قِيلَ: كُن عالمًا أو متعلمًا ولا تكنْ الثالثَ فتهلكَ.

فهنيئًا لكَ أيُّهَا العالمُ والمتعلمُ، فما هو أفضلُ مِن أنْ يستغفرَ لكَ الحوتُ في البحرِ والدوابُ وحتى النملُ تستغفرُ لطالبِ العلمِ؟! فعَن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَن سَلَكَ طَرِيْقَاً يَبْتَغِي فِيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقَاً إلى الجَنَّة؛ وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِما يَصْنَعُ؛ وَإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغفِرُ لهُ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ حَتَّى الحِيْتَانُ في المَاءِ؛ وفَضْلُ العَالِمِ عَلى العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ؛ وإنَّ العُلَماءِ وَرَثَةُ الأنبِيْاءِ؛ وإنَّ الأنبِيْاءَ لمْ يُوَرِّثُوا دِيْناراً ولا دِرْهَماً وَإنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ". ومع أنَّ الإسلامَ حرّمَ الحسدَ إلّا أنّ الشارعَ أباحَهُ في مجالِ العلمِ، فعَنْ ابنِ مَسْعودِ رضيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسول اللهِ ﷺ: "لا حَسَدَ إلاَّ في اثنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاه اللهُ مَالاً فسَلَّطَهُ عَلى هَلَكتِهِ في الحَقِّ ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقضِي بِها وَيُعَلِمُّها".

إنَّ اللهَ لم يقصرْ الأجرَ على العلماءِ في حياتِهِم، بل امتدَّ الأجرُ بعدَ موتِهِم وإلى قيامِ الساعةِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ". ويحضرنِي قولُ الإمامِ الشافعِيِّ رحمَهُ اللهُ:

قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ مكارمُهُم....

وعاشَ قومٌ وهُم في الناسِ أمواتُ

ولأهميةِ العلمِ والبحثِ العلمِي نجدُ أنَّهُ ﷺ جعلَ فداءَ كلِّ أسيرٍ مِن أسرَى بدرٍ مِمَّن يحسنونَ فنَّ القراءةِ والكتابةِ، أنْ يُعلِّمَ عشرةً مِن أبناءِ الصحابةِ، ولم يقتصرْ اهتمامُ النبيِّ عليهِ السلامُ بالحثِّ على تعليمِ العربيةِ فحسب، بل أمرَ بتعلمِ اللغاتِ الأخرَى، وكمَا قِيل:(مَن تعلمَ لغةَ قومٍ أمنَ مكرَهُم) .

وجملةُ القولِ: فإنَّ ما تقدّمَ هو قليلٌ مِن كثيرٍ مِمّا وردَ عن النبيِّ ﷺ في شأنِ عنايتِهِ بالمسألةِ العلميةِ، تعلمًا وتعليمًا، أقوالًا وأعمالًا، مما يبرزُ اهتمامَهُ الفائقَ بولايةِ العلمِ والتعليمِ والبحثِ العلمِي.

أيها المؤمنون:

هناكَ علماءُ باحثونَ إسلاميونَ قدّمُوا بحوثًا عظيمةً ومصنفاتٍ جليلةً في شتّى العلومِ والفنونِ، قامتْ عليهَا الحضارةُ الإسلاميةُ في الشرقِ والغربِ عبرَ العصورِ والقرونِ. ومِن هؤلاءِ الباحثينَ على سبيلِ المثالِ لا الحصر:

منهم: الكندِي : والذي يُعدُّ أحدَ أعظمِ إثنى عشرَ عقلًا بشريًّا في التاريخِ، ألَّفَ كتابًا مفصلًا للغايةِ، وصفَ فيهِ خمسونَ جهازًا ميكانيكيًّا وآلة، طوّرهَا وقدّمَ رسوماتٍ دقيقةً لهَا، لقد اضطلعَ بدورٍ رئيسِيٍّ في إدخالِ الأرقامِ العربيةِ والصفرِ إلى علمِ الحسابِ، العملُ الذي تابعَهُ علماءُ لاحقون.

ومنهم: جابرُ بنُ حيان : والذي يُعدُّ أبَ الكيمياءِ، ورائدًا في العديدِ مِن التقنياتِ التي لا تزالُ قيدَ الاستخدامِ اليوم، لقد كان ذَا عقليّةٍ تجريبيّةٍ عظيمةٍ، إذ سعَى لإثباتِ كلِّ شيءٍ مِن خلالِ التجاربِ، وساعدَ على وضعِ المنهجِ العلمِيِّ لاختبارِ الأفكارِ مِن خلالِ التجربةِ والمراقبةِ، وكان أيضًا يكتبُ بأسلوبٍ رفيعٍ يقصدُ منهُ عمدًا أنْ يكونَ بعيدًا عن متناولِ غيرِ المتخصصينَ في ذلكَ الوقتِ.

ومنهم: إسماعيلُ الجزرِي: وهو مهندسٌ وموسوعيٌّ معروفٌ باسمِ أبِ الروبوتاتِ، بنَى روبوتًا على شكلِ رجلٍ، وكذلك ساعاتٍ مختلفةً، بما في ذلك أولُ ساعةٍ محمولةٍ وساعةُ الفيلِ الرائعةُ. قامَ الجزرِي بشرحِ عملِهِ في كتابِ: (الجامعِ بينَ العلمِ والعملِ النافعِ في صناعةِ الحيلِ).

ومنهم: الفرغانِي: وهو أحدُ العلماءِ المسلمين الذين تميزُوا في علمِ الفلكِ، وله كتابٌ يعتبرُ أكثرَ مِن مشهورٍ في علمِ الفلكِ، وهو كتابُ (جوامعُ علمِ النجومِ والحركاتِ السماويةِ)، هذا الكتابُ يُناقشُ الحركةَ بينَ الأجرامِ السماويةِ في الكونِ وعلمِ النجومِ، وهو الكتابُ الذي تُرجِمَ للاتينيةِ، وكان أهمَّ مرجعٍ للأوروبيينَ في علمِ الفلكِ. وقد قامَ الفرغانِي بحسابِ قطرِ الأرضِ ولكن بشكلٍ عامّ، فكتابُهُ (جوامعُ علمِ النجومِ) هو أهمُّ إسهامٍ اعتمدتْ عليهِ الحضارةُ الفضائيةُ الأوروبيةُ.

ومنهم :البيروني (أبو الريحان محمد) والذي ذُكرَ عنهُ في تَراجمهِ أنَّهُ كانَ مَشغولاً بِعلمِ الفَلكِ والجغرافيا وغَيرِهما منِ العلومِ التجريبيةِ كالفيزياءِ والجيولوجيا ،والتعدينِ والصيدلةِ والرياضيات.

ومنهم: أبُو عبدِ اللهِ البتانِي: يُصنفُ البتانِي واحدًا مِن أعظمِ العلماءِ المسلمينَ في الفلكِ. فقد كانتْ مشاركاتُهُ في علمِ الفلكِ وعلمِ المثلثاتِ ساعدتْ كثيرًا في تطويرِ النظرياتِ الحديثةِ في هذهِ العلومِ، وكان أحدُ أهمِّ اكتشافاتِهِ هو تحديدُهُ للسنةِ الشمسيةِ . كما أنَّهُ قامَ بحسابِ نقطةِ الأوجِ الشمسِي، كما وضعَ نظرياتٍ لحركةِ الشمسِ وبعضَ القوانينِ للاهتزازاتِ البطيئةِ.

إنَّ العلماءَ المسلمينَ الأوائلَ هم الذينَ صدرُوا بحوثَهُم وتجاربَهُم العمليةَ إلى العالمِ كلِّهِ، وهم أساسُ النهضةِ الأوربيةِ، وشهدَ شهودٌ مِن أهلِهَا. وإليكُم شهادةَ الغربيينَ واعترافَهُم بهذه الحقيقةِ المشرقةِ:

تقولُ: هونكه: إنَّ العربَ ابتدعُوا طريقةَ البحثِ العلمِي الحق. وتضيفُ: إنَّ العربَ طورُوا بتجاربِهم وأبحاثِهم العلميةِ، وما أخذوهُ مِن مادةٍ خامٍ عن الإغريقِ وشكلُوه تشكيلًا جديدًا، فهم في الواقعِ الذين ابتدعُوا طريقةَ البحثِ العلمِي الحقِّ القائمِ على التجربةِ.

ويقولُ: وايس: لسنَا نبالغُ إذ قلنَا إنّ العصرَ العلميَّ الحديثَ الذي نعيشُ فيهِ، لم يُدشّنْ في مدنِ أوربا، ونحن مدينونَ للمسلمينَ بكلّ محامدِ حضارتِنَا في العلمِ والفنِّ والصناعةِ، وحسبِ المسلمينَ أنّهُم كانُوا مثالًا للكمالِ البشرِي، بينمَا كنَّا مثالًا للهمجيةِ.

هذا قليلٌ مِن كثيرٍ مِن نماذجِ العلماءِ الباحثينَ الإسلاميينَ، وكذلك شهاداتِ الغربيينَ المنصفةِ في هذا الشأنِ.

يقول ربنا جلا وعلا:(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه

إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه.

أما بعد:

أيها المؤمنون :

إنَّ العلمَ والبحثَ العلمِيَّ أساسُ نهضةِ الأمةِ وقيامُ الحضاراتِ؛ فبالعلمِ تُبنَى الأمجادُ، وتَسُودُ الشعوبُ، وتُبنَى الممالكُ، وما أجملَ قولَ عليِّ بنِ أبِي طالبٍ رضي اللهُ عنه:

ما الفخـــرُ إلّا لأهلِ العلمِ إنّهُم .....

على الهدَى لِمَن استهدَى أدلاءُ

وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسنُهُ ...

والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ

ففزْ بعلمٍ تعشْ حيًّا بهِ أبدًا...

الناسُ موتَى وأهلُ العلمِ أحياءُ

وما فشَا الجهلُ في أمةٍ مِن الأممِ إلّا قوضَ أركانَهَا، وصدَّعَ بنيانَهَا، وأوقعَهَا في الرذائلِ والمتاهاتِ المهلكةِ.

وكمَا قِيلَ: العلمُ يبنِي بيوتًا لا عمادَ لهَا ...

والجهلُ يهدمُ بيوتَ العزِّ والكرمِ

وكم هو شديدُ الوقعِ على النفوسِ أنْ يُرَى في الناسِ مَن شابَ رأسُهُ، ورقَّ عظمُهُ، وهو يتعبدُ اللهَ على غيرِ بصيرةٍ! وقد يُصلِّي بعضُ الناسِ أربعينَ سنةً، أو عشرينَ سنةً، أو أقلَّ أو أكثرَ وهو لم يصلِّ في الحقيقةِ؛ لأنَّ صلاتَهُ ناقصةُ الأركانِ، أو مختلةُ الشروطِ والواجباتِ، ومع ذلك لا يحاولُ تعلمَ أحكامِهَا، بينما يُرَى حريصًا على دنياه، ويكفِي هذا دليلًا على أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى لم يردْ بهِ خيرًا، وقد وصفَ اللهُ تعالَى هؤلاءِ بقولِهِ: { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }؛ ، وقالَ جلَّ شأنُهُ: { بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ }؛ .

يقولُ الإمامُ ابنُ كثيرٍ رحمَهُ اللهُ: "فهؤلاءِ ليس لهم علمٌ إلّا بالدنيا وأكسابِهَا وشؤونِهَا وما فيها، فهم حذاقٌ أذكياءٌ في تحصيلِهَا، ووجوهِ مكاسبِهَا، وهم غافلونَ عن أمورِ الدينِ، وما ينفعُهُم في الدارِ الآخرةِ، كأنَّ أحدَهُم مغفلٌ لا ذهنَ لهُ، ولا فكرة".أ.ه . ويقولُ الحسنُ البصريُّ: "واللهِ ليبلُغنَّ أحدُهُم بدنياهُ أنّهُ يقلبُ الدرهمَ على ظفرِهِ، فيخبرُكَ بوزنِهِ، وما يحسنُ أنْ يُصلِّي"؛ فكيف تنهضُ الأمةُ – في جميعِ مجالاتِهَا – بأمثالِ هؤلاءِ ؟!!

إنَّ أهمَّ عواملِ النهوضِ بالأمةِ في مجالِ البحثِ العلمِي أنْ نهتَمَّ بالمعلمِ ونشكرَ جهودَهُ، ونعرفَ لهُ قدرَهُ وفضلَهُ.

إنَّ المُعلِّم والطَّبِيبَ كِلَيهما ....

لا يَنْصَحانِ إذا هُما لَمْ يُكْرَما

فاصْبِرْ لِدائِكَ إنْ أَهَنْتَ طَبِيبَهُ ....

وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

إنَّ نهضةَ الأمةِ منوطٌ بتربيةِ أجيالٍ على الاهتمامِ بالبحوثِ العلميةِ وتحملِ المسئوليةِ، وما اختلتْ موازينُ الأمةِ، وفسدَ أبناؤهَا إلّا حينمَا ضاعَ الأبناءُ بينَ أبٍ مفرطٍ لا يعلمُ عن حالِ أبنائِهِ، ولا في أيّ مرحلةٍ يدرسون، ولا مع مَن يذهبونَ ويجالسونَ، ولا عن مستواهُم التحصيلِي في الدراسةِ – وبينَ مدرسٍ خانَ الأمانةَ، وتهاونَ في واجبِهِ، ولم يدركْ مسؤوليتَهُ، فدورُ الأسرةِ عظيمٌ في غرسِ هذه القيمِ في نفوسِ أبنائِهَا فهم مسئولونَ عنهُم يومَ القيامةِ.

نسألُ اللهَ أنْ يرزقنَا العلم النافع الذي به نرفع به الجهل عن أنفسنا والذي نخدم به مملكتنا، وأنْ يحفظَ مملكتنا مِن كلِّ مكروهٍ وسوءٍ ،،،

هــذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ،

النبي المصطفى والرسول المجتبى ،

نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة.

فقد أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

اللهم صلّ وسلم وبارك على نبينا محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارضَ اللهم عن خلفائه الراشدين، أبي بكر و عمر و عثمان و علي ، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين ..

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين يا رب العالمين..

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا،

اللهم اجعل زادنا التقوى، وزدنا إيماناً ويقيناً وفِقهاً وتسليماً.

اللهم احقن دماء المسلمين واحفظ بلادنا وألف بين قلوبنا ... ومن أرادنا أو أراد بلادنا بسوء أو مكروه فرد كيده في نحره واجعل تدبيره تدميراً عليه ..

اللهم إنا نعوذ بك من همزات الشياطين وَنعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ..

اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وتولى أمرنا وردنا إلى دينك رداً جميلاً ...

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ،

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا حاجةً إلا قضيتها ويسّرتها يا ربّ العالمين،

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار...

عبــاد الله:

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.....

والحمد لله رب العالمين